أبو جعفر المنصور (136- 158هـ)

هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي،أبو جعفر المنصور، ولد بالحميمة في عام 95هـ،تولى أمر الحكم بعد أخيه أبو العباس،وكانت الدولة لاتزال مضطربة ولم تتوطد أركانها بعد،غير ان المنصور استطاع أن يدعم أركانها بفضل تجاربه وحزمه ودهائه وطول مدة حكمه بحيث يمكن القول ان المؤسس الحقيقي للدولة العباسية،وقد أطلق عليه لقب(المنصور الدوانيقي) لأنه كان شحيحا" بخيلا"، والدانوق أصغر عملة نقدية آنذاك.

أهم الأعمال التي قام بها من اجل تثبيت سلطانه :-

أولاً/ التخلص من عمه عبد الله

تولى ابو جعفر المنصور والدولة العباسية لم تتوطد أركانها بعد فكانت المخاطر قد أحدقت بها من كل ناحية وأول خطر واجهه المنصور هو خطر عمه عبد الله بن علي الذي حاول العصيان والخروج عن طاعته فأول عمل قام به هوالتخلص من خطر عمه عبد الله بن علي الذي ما إن سمع بخبر وفاة الخليفة الأول أبو العباس السفاح حتى سارع إلى إعلان نفسه خليفة مدعيا" ان الخليفة الأول قبل وفاته قد عهد إليه بالأمر من بعده،لهذا نجده يعلن خروجه عن طاعة أبو جعفر المنصور وبايع لنفسه بالخلافة في مدينة حران بالجزيرة معتمدا على الجيش الذي تحت قيادته،وكان هذا الجيش قد أعد العدة في بادئ الأمر لغزو بلاد الروم(البيزنطيين) ولكن عبد الله بن علي أراد أن يستخدمه في تحقيق أطماعه في الخلافة مدعيا" أن الخليفة أبا العباس جعله وليا لعهده حينما أرسله لقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية،وقد تصرف المنصور في معالجة هذا الموقف تصرفا" حكيما" دل على انه لا يحكم العواطف في المسائل السياسية، كما انه كان يجمع الجراءة والمكر والدهاء، فعزم على ضرب أعداءه بعضهم ببعض حتى تخلوا الساحة السياسية له، فحقده على أبي مسلم الخرساني لم يمنعه من الاستعانة به في القضاء على عمه عبد الله بن علي،إذ لايفل الحديد إلا الحديد كما يقال ،ثم أن الجيش الذي كان تحت أمرة عمه كان يضم عددا" كبيرا" من الخراسانيين وكان المنصور يأمل أن يستميلهم عن طريق أبي مسلم الخرساني فقد طمأن أبو مسلم الخراساني أبي جعفر قائلا:**((أنا أكفيك أمره إن شاء الله،إن عامة جنده من أهل خراسان وهم لا يعصونني))**.

- بدأت الحرب بان خرج أبو مسلم من العراق متظاهرا" بأنه يريد الشام وأرسل خطابا" إلى عبد الله بن علي يخبره فيه بأن الخليفة قد ولاه على الشام وأنه لم يأمره بقتاله،هذه الحيلة لم تدخل على عبد الله بن علي الذي كان متحصنا بمدينة نصيبين شمال العراق، وهي مركز استراتيجي هام من الناحية الحربية لأنها تقع على الطريق المؤدي إلى الشام،غير أن الجنود الشاميين في جيش عبد الله بن علي خافوا على أهلهم من أبي مسلم الخراساني وجنوده الخراسانيين، فالحوا على عبد الله بن علي بالسير إلى الشام ومغادرة موقعه الحصين في نصيبين وفعلا" استجاب لطلبهم،وما إن كاد عبد الله بترك نصيبين حتى تحول أبو مسلم إلى المدينة واستولى عليها لأهميتها الحربية، فأصبح جيش عبد الله بن علي خارج المدينة في العراء ولا عاصم يؤويه،وهنا رأى عبد الله بن علي انه لامفر من قتال أبي مسلم الخرساني.
- اخذ عبد الله بن علي يشكك بالجند وقادتهم وخاصة" عرب خراسان، إذ كان جيش عبد الله بن علي اغلبه من الخراسانيين أتباع أبو مسلم الخراساني،فخشى عبد الله أن يخذله جيشه في ساعاته الحرجة ويتخلى عنه، ولكي يتجنب انضمامهم إلى أبو مسلم الخراساني فأنه أبعدهم ونكل بهم وقتلهم جميعا" فأضعف بذلك جيشه،ويعد حميد بن قحطبة الطائي من القادة الذين شك في ولائهم فأرسله برسالة إلى والي حلب يأمره فيها بقتل حميد بمجرد وصوله إليه، فشك حميد بالرسالة وفر

إلى الجيش العباسي،وكان حميد قائدا" في جيش عبد الله بن علي ويعرف نقاط الضعف والقوة فيه.

- اتبع أبو مسلم خطة عسكرية متقنة أدت إلى هزيمته فضم أكثر جيشه من الميمنة إلى الميسرة،فلما ضم الشاميون أكثر ميسرتهم إلى ميمنتهم، وهجم أبو مسلم بسرعة القلب مع الميمنة على ميسرة أهل الشام واشتبك معهم فشتت شملهم.

دامت الحرب بين أبي مسلم وعبد الله بن علي حوالي ستة أشهر تمكن فيها أبو مسلم من الانتصار على خصمه سنة 137هـ، وفر عبد الله بن علي إلى أخيه سليمان والي البصرة واختفى عنده مدة ثم سلمه سليمان إلى المنصور سنة 139ه بعد أن أخذ له الأمان من الخليفة،ولكن المنصور سجنه ثم تخلص منه سنة 147هـ وهكذا تخلص المنصور من منافسه الأول .

ثانياً/ التخلص من أبي مسلم الخراساني

ساهم الفرس الخراسانيون بدور بارز في قيام الدولة العباسية وعلى رأسهم ابو مسلم الخراساني الذي قدم خدمات جليلة للعباسيين وقامت الدعوة على أكتافه،وتمكن من إحراز العديد من الانتصارات على أعداء الدولة العباسية ونجح في الكثير من الحملات العسكرية التي انتدب بها من قبل الحكام العباسيين،لهذا نجد أن هذه الانتصارات لم تزد الخليفة العباسي إلا خوفا" وارتيابا" منه بسبب ازدياد نفوذه واشتداد بأسه والواقع أن أبا مسلم كان يشعر في قرار نفسه بأنه صاحب الفضل الأول في قيام الدولة العباسية ولولاه لما قامت لهم دعوة ،فضلا عن ذلك أن الخراسانيين كانوا يرون فيه بطلاً قومياً ويأتمرون بأمره لهذا كان كثيراً ما يخالف أوامر الخليفة ويعترض على نقل السلطة من أيدي القادة إلى أعمام الخليفة،وكان أبو جعفر المنصور يشعر بخطورة أبي مسلم أكثر من أخيه الخليفة،لهذا أشار عليه بقتله وقال:((**لست خليفة مادام أبو مسلم حيا**")) ولكن أبو العباس السفاح رفض أن يتعرض له بسوء خوفا" من المتاعب التي قد تنجم عن قتله لاسيما وأن الدولة لا زالت في حاجة الى جهوده وإلى جنوده الخراسانيين الذين كانوا في ذلك الوقت يشكلون دعامة الدعوة العباسية.

على أن سياسة التريث هذه لم تمنع أبا العباس(الخليفة الأول) من أن يعمل على مضايقة أبي مسلم الخراساني والحد من نفوذه،ففي سنة 136 ه خرج أبو مسلم لتأدية فريضة الحج مصطحبا" معه عشرة آلاف جندي فأمره الخليفة باصطحاب ألف جندي فقط كما أوعز إلى أخيه أبو جعفر المنصور بأن يحج في السنة نفسها كي تكون له إمارة الحج بدلا من أبي مسلم،وقد أستاء أبو مسلم من هذا التصرف أذ علق على ذلك قائلا:((**أما وجد أبو جعفر المنصور عاماً يحج فيه غير هذا العام**)).

وقد ازداد نفوذ أبي مسلم الخراساني بعد انتصاره على عبد الله بن علي،حيث كانت تصله الكتب والرسائل من أبو جعفر المنصور فيقوم بتقطيعها ويسخرمنه، فأراد المنصور أن يشعره بأنه احد عماله فأرسل له رسولا" ليحصي عليه الغنائم التي غنمها في حرب مروان بن محمد مع عمه عبد الله بن علي،فغضب ابو مسلم وقال :((**أؤتمن على الأرواح ولا أؤتمن على الأموال** ؟ فتكلم بكلام بذيء هجا به ابو جعفر المنصور وأراد قتل الرسول لولا تدخل أصحابه)).

ثم خرج أبو مسلم من الجزيرة غاضبا متجها"الى خراسان،ويبدو انه كان عازما" على الخلاف والعصيان بدليل أنه لم يمر على الخليفة بالعراق لاستئذانه في العودة كما جرت العادة بذاك،ورأى المنصور أن عودة أبي مسلم إلى خراسان معناه اعتصامه بأهلها واستقلاله بحكمها ،فيصعب بذاك إخضاعه والتغلب عليه، لهذا حاول المنصور صرفه عن خراسان كي يبعده عن منطقة نفوذه، وكتب إليه :((**قد وليتك الشام ومصر،فهي خير لك من خراسان،فأرسل إلى مصر من أحببت، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين**))،ولا شك أن المنصور أراد من وراء هذا التعيين أن يضعف من مركز

أبي مسلم لكره أهل الشام للخراسانيين فضلا عن إبعاده عن أنصاره الخراسانيين وجعله بالقرب من مركز الخلافة فتسهل بذلك مراقبته،غير أن أبا مسلم فطن لغرض المنصور إذ علق على ذلك قائلا :((**هو يوليني الشام ومصر،وخراسان لي**)) ثم واصل سيره نحو خراسان،عندئذ لجا أبو جعفر المنصور إلى سياسة اللين وأساليب الدهاء فأخذ يؤمنه ويستميله ويسترضيه كما أرسل إليه من ينذره من يحذره من مغبة معصية الإمام والرجوع دون أذنه.

ما زال المنصور يستعمل سياسة الترغيب والتهديد حتى انخدع أبو مسلم وذهب للقائه بمدينة المدائن التي كان قد انتقل إليها من هاشمية الكوفة،فاحسن المنصور استقباله في أول الأمر وتلقاه بكل سرور وفرح ن وجلسا وتحدثا طلب منه أبو جعفر المنصور الانصراف والعودة له بعد أن يستريح من عناء السفر وفي اليوم التالي دخل على أبو جعفر المنصور وقيل جرده من سلاحه عند دخوله فدخل وسلم على الخليفة وكان أبو جعفر وضع ثلة من الحرس لقتله وأعطاهم إشارة ما أن يطلقها ينقضوا عليه،وجرت محادثة بين الاثنين وعتاب وتوبيخ ،ثم واجهه بالتهم المنسوبة إليه منها:-

1- تجاوزه العلاقات الاجتماعية،حيث قام ابو مسلم بخطوبة آمنة بنت علي عمة الخليفة .
2- وضع نفسه في المكانة الأولى في الدولة،إذ كان يقدم اسمه على اسم الخليفة في رسائله.
3- ادعائه النسب العباسي، حين زعم انه ابن سليط بن عبد الله بن عباس،أي انه جعل لنفسه مكانة مساوية لمكانة والد المنصور محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.
4- قتله لسليمان بن كثير الخزاعي نقيب النقباء في خراسان.
5- قتله لعدد من رؤساء القبائل اليمنية أمثال علي بن جديع الكرماني وأخيه عثمان.
6- قراره بالسير إلى خراسان دون استئذان الخليفة أو أخذ موافقته.

وبعد أن انتهى المنصور من مواجهة خصمه بالتهم المنسوبة إليه،لم يكن لأبي مسلم أي جواب سوى تذكير الخليفة بخدماته التي قدمها للدولة العباسية،وقبل أن تضربه السيوف استنجد بالخليفة وأخذ يعتذر أمامه عما بدر منه،ولكن محاولته هذه لم تغنه عن القتل ،فقد أعطى أبو جعفر المنصور إشارة إلى رجاله المسلحين خلف الستار بقتله في مجلسه سنة (137ه) فتخلص بذاك المنصور من اكبر خطر كان هدد الدولة الناشئة وكاد أن يقوض أركانها.

ويمكن تلخيص السياسة التي سار عليها أبو جعفر المنصور من أجل الإطاحة بابي مسلم بالخطوات الآتية :-

1- استخدام سياسة الترغيب والترهيب معه.
2- إبعاده عن منطقة نفوذه في خراسان حتى لايؤلب عليه أهلها ويستقل بحكمها.
3- قطع خط الرجعة على أبي مسلم إلى خراسان بتولية أبي داود بالأمارة على خراسان .
4- أن يلقاه وحيداً مجردا من النفوذ والسلطان .
5- تلطيف الجو والتودد إليه حتى يزيل الريبة من قلبه .
6- جعله قريبا" من مركز الخلافة حتى تسهل مراقبته.

ثالثا" / التغلب على العلويين

لم ينس العلويون حقهم في الخلافة منذ استشهاد الإمام الحسين (ع) في واقعة الطف الأليمة،فكانوا يسعون الى نيل حقهم وبكل وسيلة،فإن وجدوا الفرصة السانحة اغتنموها،وإذا آنسوا من أنفسهم ضعفا" ركنوا إلى الهدوء،ولما قامت الدعوة العباسية نجد أن العلويون من(**الفرع الحسني**)(**ويمثلهم عبد الله بن الحسن المحض وولديه محمد بن ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم**)قد انضموا إليها ظنا" منهم بأنها

علوية في حين وقف بعضهم الآخر على الحياد(**الفرع الحسيني**) ويمثلهم(**الإمام جعفر الصادق "عليه السلام"**)تاركين الأمور تجري في مجراها الطبيعي على الرغم من تأييدهم لفكرة الثورة على الأمويين ،فكانت العلاقة حسنة بين العلويين والعباسيين إثناء فترة الدعوة العباسية، وعندما انتهت الثورة بانتقال الخلافة إلى آل العباس اعتبر العلويين (الفرع الحسني)أن العباسيين خدعوهم واستأثروا بالخلافة دونهم مع أنهم أحق بها،وزاد غضبهم عندما أعلن أبو العباس السفاح صراحة" أن الخلافة عباسية وستبقى عباسية وانه ليس لأحد أي حق فيها قاصدا بذلك العلويين،الا ان العلاقة بين الطرفين اتسمت بالهدوء والمسالمة ثم تبدلت بعد ذلك في عهد المنصور فمالت نحو التأزم ثم الاصطدام،لان أبو جعفر المنصور شعر أن المعارضة العلوية أضحت خصما" عنيدا" يهدد كيان الدولة الناشئة.